في الواقع كان شيء اخر

كتبها اخيم بروغر

كَانَ هُنَالِكَ طِفْلٌ جَالِسٌ عَلَى حَافَّةِ النَّهْرِ.
وَأَشِعَّةُ الشَّمْسِ السَّاطِعَةِ تَجْعَلُ النَّهْرَ يَلْمَعُ ويتلألأ.
وهُنَاكَ فِي الْخَلْفِ كَانَتْ ضَفَتَا النَّهْرِ تَكْبُرَانِ سَوِيَّةً.

وَكَانَ الْوَلَدُ يَتَصَوَّرُ بِأَنَّ النَّهْرَ يَضِيقُ أَكْثَرَ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ بِأَنَّهُ فِي الْوَاقِعِ هُوَ شَيْءٌ آخر.

لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصَدِّقَ ذَلِكَ.

لِذَلِكَ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ هُوَ ذَلِكَ الْمَكَانُ.
وقَالَ مُصَمِّماً" :سَوْفَ أَبْحَثُ عَنْهُ.،،
وَسَارَ طَوِيلاً عَلَى الطَّرِيقِ الضَّيِّقِ المحاذي لِلنَّهْرِ.

وَمَعَ ذَلِكَ ظَلَّ الْمَكَانُ الَّذِي يَضِيقُ فِيهِ النَّهْرُ كَمَا هُوَ أَمَامَهُ.

فَكَّرَ قَائِلاً:
غَرِيبٌ ذَلِكَ، بالرَغْمِ من أَنَّنِي أَمْشِي وَأَمْشِي إِلَّا أَنَّنِي لَا أَقْتَرِبُ مِنَ الْمَكَانِ.

فَالْتَقَى بِرَجُلٍ.
وحَيَّاهُ الْوَلَدُ قَائِلاً": نَهَارُكَ سَعِيدٌ.،،

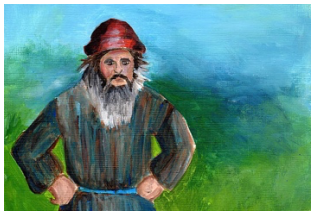

وَسَأَلَهُ: " أَنَا أَبْحَثُ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي يُصْبِحُ فِيهِ النَّهْرُ ضَيِّقاً كَخَيْطٍ. أَيْنَ أَجِدُهُ ؟،،
فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَضْحَكُ: " أَلَا تَعرف مَا هُوَ فِي الْوَاقِعِ؟،،
فَأَجَابَهُ الولدُ لَيْسَ تَمَاماً.،،
" وَأَنَا لَا أُصَدِّقُ كُلَّ مَا يُقَالُ لِي.،،
فَقَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَهُزُّ رَأْسَهُ مُسْتَهْزِئًا: " إِذاً تَابِعْ بَحْثَكَ،،

فَرَاحَ الْوَلَدُ يَسْأَلُ بَعْضَ النَّاسِ الآخَرِين، الَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُ أَيْضاً.

وَالْبَعْضُ الْآخَرِ أَجَابَهُ:" بِأَنَّ الْمَكَانَ غَيْرُ مَوْجُودٍ".
"وَلَيْسَ لَدَيْنَا الْوَقْتُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لامعنىً لَهَا".

مِمَّا جَعَلَ الْوَلَدَ يَغْضَبُ.
وَظَلَّ يُتَابِعُ بَحْثَهُ إِلَى أَنْ حَلَّ الظَّلَامُ.

وإِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى أَحدِ الْبُيُوتِ التي كَانَ يَجْلِسُ أَمَامَها رَجُلٌ عَلَى الْمَرْفَأِ الصَّغِيرِ لِلنَّهْرِ.	
فَسَأَلَ الْوَلَدُ هَذَا الرَّجُلَ أَيْضاً:" أَنَا أَبْحَثُ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي يُصْبِحُ فِيهِ النَّهْرُ ضَيِّقاً،،. "أَنَا أَرَاهُ أَمَامِيَّ دَائِماً، هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ لي أَيْنَ أَجِدُهُ؟،، فَقَالَ الرَّجُلُ وهو يَبْتَسِمُ: " أَنا لَا أَعْرَفُ أَيْنَ هُوَ وَلَا أَعْرَفُ أَيْنَ تَجِدُهُ،،. وَلَكِنْ لَدَيَّ الْكَثِيرُ من الْوَقْتِ, لِأَنَّنِي أَصْبَحْتُ كَبِيراً فِي السِّنِّ. "وَسَوْفَ أُرَافِقُكَ بِكُلِّ سُرُورٍ لِلْبَحْثِ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ.	
وَهَكَذَا لَمْ يَعُدْ الْوَلَدُ لِوَحْدِهِ. فَلَقَد أَحضَرَ الرَّجُلُ الهارمونيكا مِنْ مَنْزِلِهِ وَكَذَلِكَ الناظورْ. وَقَامَا بملء قَارِبِ الرَّجُلِ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةَ, ثُمَّ أَشْعَلَا المحرك وانطلقا. وَوَقَفَا بجانب بعضِهما الْبَعْض فِي الْقَارِبِ. وَكَانَا يُغَنِّيَانِ أَحْيَانَا. وَغَالِباً مَا كَانَا يَقُولَانِ:" هُنَا فِي الأمامِ يَكُونُ الْمَكَانُ. ،، ثُمَّ يَبْدَؤُونَ بِالنَّظَرِ عَبْرَ النّاظورْ.	
وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيَصِلوا إِلَى هُنَاكَ أَبَداً. بَلْ عَلَى الْعَكْسِ، كَانَ النَّهْرُ يَتَّسِعُ أَكْثَرَ. وَأَخِيراً كَانَ قَدِ اِتَّسَعَ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ أَصْبَحَ بَحْراً. وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بَدَأَ الرَّجُلُ وَالْوَلَدُ يَتَمَايَلَانِ عَلَى تِلْكَ الْمِيَاهِ الواسِعةِ. وَرَأَوْا على الْبُعدِ، كَيْفَ قَامَ خَطُّ الْأُفُقِ بِجَعْلِ المْاءِ وَالسَّمَاءِ يَلْتَقِيَانِ مَعاً. وَكَانَا يُرِيدَانِ أَنْ يَجِدَا هَذَا الْمَكَانَ أَيضاً.	

وَعِنْدَ الْمَسَاءِ غَرُبتِ الشَّمْسُ نَحْوَ الْأَسْفَلِ. فَقَالَ الْوَلَدُ: لَقَد غَطَسْتِ الشَّمْسُ فِي الْبَحْرِ. لَا بِدْ أَنَّهَا أَصْدَرَتْ صَوَّتاً كَغَطْسِ الْحَدِيدِ السَّاخِنِ فِي الْمَاءِ. وَهُنَا بَدْءَا بالْبَحْثِ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي تَغْطِسُ فِيهِ الشَّمْسُ فِي الْبَحْرِ أَيْضاً. وَبَحَثَا عَنْ مَكَانِ الْتِقَاءِ الْبَحْرِ والسَّمْاءِ مَعاً. وَبَحَثَا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي يَضِيقُ فِيهِ النَّهْرُ لِيُصْبِحَ كَالْخَطِّ.	
وَأَصْبَحَ الاثنان صَدِيقَانِ، وَشَعَرا بِالْارْتِيَاحِ فِي قَارِبِهِمَا. وَتَبَادَلَا الْحَدِيثَ مَعَاً. وَأَكَلَا وَشَرِبا مَعَ بَعْضِهِمَا الْبَعْض. وَفِي اللَّيْلِ بَدْءَا يُضِيئَانِ ألْمَاء بِمَصَابِيحِ الْيَدِ. حَتَّى أَخَذَتْ تَلَمَّعْ كَالْنُّجُومِ الَّتِي فَوْقَهُمَا.	
وَكُلَّمَا كَانَ الْجَوُ جَمِيلاً، قَفَزَ الْوَلَدُ فِي الْبَحْرِ. لِيَسْبَحَ وَيَغْطِسَ. وَرَأَى أَسْمَاكَ كَبِيرَةَ وقواقع. آتِيةً بِزَخْمٍ كَبِيرٍ، فَتَرَاقَصَ الْقَارِبُ بِشَكْلٍ أَهَوَجَ عَلَى الأمواجِ.	
وَأَبْحَرَا حَوْلَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ كُلَّهَا. وَمِنْ بَحْرٍ لِآخر، عَبْرَ أَنْهَارِ مُدُنٍ كَثِيرَةٍ. وكُلَّمَا وَجَدَا مَكَاناً جَمِيلاً، بَقِيَا فِيهِ مُدَّةً أَطْوَلَ. وَلَكِنْ فِي وَقْتٍ مَا كَانَا يُتَابِعَانِ سَفَرهُمَا. وَدَائِمًا بِاتِّجَاهٍ وَاحِدٍ. وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَجِدَا أبداً ذَلِكَ الْمَكَانَ، الَّذِي يُصَبِّحُ فِيهِ النَّهْرُ ضَيِّقاً، وَلَا الْمَكَانَ الَّذِي تَغْرَقُ فِيهِ الشَّمْسُ فِي الْمَاءِ، وَلَا الْمَكَانَ الَّذِي تُلَامِسُ فِيهِ السَّمَاءُ سَطْحَ الْمَاءِ.	
وَعِنْدَ عَوْدَتِهِمَا إِلَى الْبَيْتِ، قَالَ لَهُمَا بَعْضُ النَّاسِ" أَنْتُمْ أغبياءُ" وَقَالَ آخرون: "حَقًّا إِنَّهُ غَبَاءٌ.،، وَعِنْدَهَا نَظَرَ الْوَلَدُ وَالرَّجُلُ لِبَعْضِهِمَا واخذا يَضْحَكَانِ. فَقَالَ الْوَلَدُ: " عَلَى الاقلِ، أنا أعْرِفُ الْآنَ بِأَنَّ الأماكنَ الَّتِي كُنْتُ أبْحَثُ عَنْهَا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ. وأنا لَمْ أعْرف هَذَا لِمُجَرَّدِ أنَّ أحداً قَدْ قَالَ لِي ذَلِكَ. بَلْ أنا أعرِفهُ فِي الْوَاقِعِ.،،	

فَهَزَّ الرَّجُلُ رَأسَهُ وَقَالَ: "لقد رَأَينَا أَشْيَاءَ كَثِيرَة وأخذنا حَمَّامًا فِي الْمِيَاهِ الدافئة واستلقينا فِي الشَّمْسِ وأخذنا نُفْكِرُ وَالْتَقَيْنَا بالناسِ. وَماعدا ذَلِكَ قَضَيْنَا مَعاً وَقْتاً طَوِيلاً. كَانَ ذَلِكَ جَمِيلاً.،،	
وَبَعْدَهَا بَدْء كِلَاهُمَا بِالتَّثَاؤُبِ وَذَهَبَا لِلنَّوْمِ. فَلقد كَانَا فِي إفْرِيقْيَا وَالْهِنْدِ أَيضاً وَأَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ. وَهَذَا يُرْهِقُ.	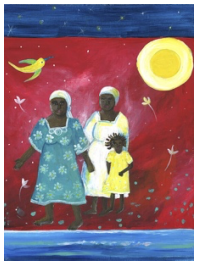
النهاية